أولا ـ انتقال الدعوة الزيدية الى المغرب :

بدأت الجهود الزيدية لتأسيس كيان لهم في المغرب بعد قيام الخلافة العباسية سنة 132 هـ/ 749 م، حيث يذكر ابن الخطيب قوله أنه كان للزيديين من الحسنيين الطالبيين ذرية علي بن أبي طالب دعوة زاحموا بها أيام العباسيين[1] ، وكانت أيضا الدعوة الخارجية موجودة في بلاد المغرب، وأول من لحق بالمغرب عيسى بن عبد الله الذي أرسله محمد النفس الزكية إلى المغرب ، فكان له شأن كبير بين البربر[2].

كان العلويون يَفِدون إلى المغرب خُفية لأن العباسيين كانوا يترصدونهم، فقد وفد أيضا النفس الزكية سليمان بن عبد الله الذي نزل بتلمسان وكانو يدعوا للحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، لكنه اضطر إلى العودة الى المشرق للمشاركة في معركة فخ بالقرب من مكة[3]، لكن كما هو معلوم حلت المصيبة بالعلويين إذ انهزموا في هذه المعركة، فأخذ سليمان من جديد يدعو ليحيى بن عبد الله الذي استطاع الفرار من المعركة وتأسيس دولة في طبرستان من بلاد فارس[4] .

في غمرة هذه الأحداث لحق إدريس ومعه مولاه راشد بأخيه سليمان إلى المغرب وأخذ يُعد العدة لتأسيس كيان للعلويين، ونزل بقبيلة "أَورَبة"، وزعيمها إسحاق بن محمود بن عبد الحميد في غرة ربيع الأول سنة 172 هـ/ 788 م[5]، وكان إسحاق هذا على مذهب الإعتزال فوافقه إدريس على مذهبه[6]، ولم يكن هذا الإتباع كُليا بل كان من أجل تحقيق غرض تأسيس الدولة فقط .

ثانيا ـ تأسيس الدولة :

كانت رحلة إدريس إلى المغرب شاقة جدا فرارا من البطش العباسي، حيث خرج إلى مصر والتقى بواليها علي بن سليمان الذي كان على مذهب الشيعة فدبر له المُقام بها، ثم سهل له سبيل الخروج

[1] ابن الخطيب ، أعمال ... ، ج 3 ، ص 188 .
[2] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 15 .
[3] نفسه، ص 16 .
[4] ابن خلدون ، ديوان ...، ج 3 ، ص 374 .
[5] أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذِكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج 1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 م، ص 19 .
[6] البكري، مصدر السابق ، ص 118 .

منها[1]، وبرفقة راشد إتجه إدريس إلى برقة ثم القيروان ومنها الى تلمسان ثم إلى طنجة متخفيا، وقد نجح في الوصول إلى طنجة بسلام .

لما وصل إدريس إلى طنجة أخذ منها يُعد العُدة لتأسيس الدولة، وقد نجح في ذلك لما وصل إلى مدينة وليلي، وتمت مبايعته من طرف قبائل أورَبة وزناتة ومكناسة وغياثة وغمارة وغيرهم كثير[2]، وبعد مبايعته شرع في تأسيس المدينة فاس، وإن كان البعض يرون أن إدريس الثاني هو الذي أسس المدينة فان الباحث الفرنسي ليفي بروفنصال Évariste Lévi-Provençal يرى أن إدريس الأول هو مؤسسها والدليل على ذلك وجود عملة تعود إلى إدريس الأول بمدينة فاس[3].

كما أنه بدأ في التنظيم السياسي والإداري للدولة، وعين عبد المجيد مصعب وأخيه عمر و راشد بن مرشد وزراء له[4]، وبدأ في إعداد الجيش من مختلف القبائل من أورَبة وزناتة وصنهاجة وغيرهم، وبدأ في افتتاح المناطق وتوسيع مجال الدولة، حيث فتح مديونة وماسة وفزازة وتادلة وعلى بعض أملاك برغواطة، ثم فتح "تازا" ذات الأهمية الاقتصادية، ونشر الإسلام بين سكانها[5]، كما فتح تلمسان تلمسان وانتزعها من يد محمد بن خزر المغراوي وبذلك استقامت له الأمور[6].

وكان التقدم باتجاه الشرق السبب الرئيسي في إرسال الرشيد لعامله سليمان بن جرير المعروف بالشماخ إلى المغرب الأقصى لقتل إدريس، وكانت هذه المكيدة بالتواطؤ مع أمير إفريقية إبراهيم بن الأغلب ونجح هؤلاء في تنفيذ مسعاهم سنة 177 هـ / 794 م[7]، ولم يتزعزع من الدولة شيئ إذ تكفل

[1] ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 17 .
[2] نفسه ، ص 20 .
[3] ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة، السيد محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990 م، ص 1 وما بعدها، أنظر أيضا، روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ترجمة، نقولا زياده، مكتبة لبنان، بيروت، 1967 م، ص 20 .
[4] جوليان ، ص 58
[5] البكري ، المصدر السابق ، ص 65 .
[6] ابن أبي زرع ، مصدر سابق، ص 20 .
[7] أبي إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ط 1، تحقيق، عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 م، ص 178 .

المولى راشد بمواصلة المهمة حيث ولدت جارية لإدريس الأول إبنه الذي لُقب بإدريس الثاني[1] وتكفل راشد برعايته وحمايته حتى تسلم زمام الأمور.

ثالثًا ـ مراحل الدولة (طور القوة والضعف) :

أ ـ مرحلة القوة (172 – 221 هـ / 787 – 853 م) :

1 ـ عهد إدريس الثاني وإبنه محمد(177 – 221 هـ / 792 – 853 م) :

سار إدريس الثاني على سياسة أبيه في تقوية الدولة، التي ضمت عناصر جديدة من العرب الوافدين من المشرق والأندلس واعتمد عليهم في شتى المجالات، كما برز في عهده دور أهل الذمة في المجالين العمراني والمالي[2]، كما أنه استطاع أن يوفق بين جميع هذه العناصر وينهض بالدولة في شتى المجالات حتى أصبحت قِبلة للكثير من شتى النواحي[3]، وكان لانتقال إدريس من وليلي إلى فاس ردة فعل من قبيلة أَورَبة عصب الدولة الادريسية، وكان ذلك حرصًا منه على التحرر من قيدها وليس كما ذكر ابن الخطيب لضيق المدينة[4]، وكان لهذا ردة فعل إذ بدات المؤامرات والمكائد من طرف هذه القبيلة ، فكانت محاولاتها لواضحة لتدمير ما بني من مدينة فاس[5]، ولم يكتف هؤلاء بهذا بل إنهم وصلوا إلى حد التآمر مع الأغالبة لقتل إدريس، مما اضطر إدريس لقتل زعيمهم إسحاق بن الحميد وبذلك زالت الفتنة وانتهت[6].

لم تكن أوربة وحدها من حاكت المؤامرات ضد الأدارسة بل أن مطغرة حذت حذوها وكثفت اتصالتها مع أعداء الدولة من المدراريين ثم الأغالبة لكن إدريس كشف ما كان بينهم من المراسلات فأعمل فيهم السيف حتى أهلك منهم خلقا كثيرا[7]، وكان لزواج إدريس من امراة نفزاوية دوره في إخماد

---

[1] علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ط2، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1411 هـ / 1991 م، ص 15 .

[2] ابن ابي زرع ، مصدر سابق ، ص 37 .

[3] نفسه ، ص 39 .

[4] ابن الخطيب ، أعمال ....، ج 3 ، ص 198 .

[5] أشار ابن زرع إلى أن إدريس الثاني أصلح ماتهدم منها خاصة السور، أنظر، إبن أبي زرع، مصدر سابق، ص 50 .

[6] محمود إسماعيل ، الأدارسة 172 – 375 هـ حقائق جديدة ، ط 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1411 هـ / 1991 م ، ص 78 .

[7] نفسه ، ص 78 ، محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي ، ص 152 .

نار الفتنة وبحثا عن سياسة الإتزان بينه وبين البربر، حيث أن هذه المرأة انجبت له إبنه محمد الذي تولى ولاية العهد بعد وفاته سنة 213 هـ / 845 م [1].

2 ـ عهد محمد بن ادريس :

توفي إدريس وخلفه إبنه محمد ، ويبدو أن المؤامرات لم تتوقف، حيث انتهجت جدة محمد سياسة جديدة تقتضي بتفريق حكم الإمارات الإدريسية على إخوته[2]، وإن كان الكثير يرى في سياسة محمد خطرا على تقسيم الدولة، يرى البعض الآخر هي محاولة التخلص من السيطرة القبلية وتقوية الدولة[3]، الدولة[3]، وكان تعيين أبناء البيت الحاكم على النحو التالي: (القاسم بن إدريس تولى طنجة وسبتة وحجر النسروبلاد معمورة)(وتولى داود بن إدريس بلاد هوارة ومكناسة وجبال غياثة وتازا) (عيسى بن إدريس تولى شالة وسلا وآزمور وتامسنا) (وتولى يحيى بن إدريس البصرة و وأصيلا والعرائش إلى بلاد ورغة) (وتولى عمر بن إدريس تجساس وتدغة و صنهاجة وغمارة)(وتولى أحمد بن إدريس مكناسة وبلاد فزاز وتادلة) (أما عبد الله بن إدريس فقد تولى آغمات وبلاد المصامدة والسوس) (و حمزة بن إدريس تولى تلمسان وأعمالها) وأقام محمد في مدينة فاس[4].

كان لهذه السياسة ثمارها في نجاح الأدارسة في توطيد مُلكهم بالمغرب الأقصى حيث حكم كل منه وأمن سُبله[5]، ولا شك في المقابل أن هذا الأمر فتح باب التنافس والصراع بين أبناء البيت الواحد، الواحد، حيث بدأت القصة بخروج عيسى بن إدريس على أخيه مُعلنا استقلاله التام، فما كان من محمد إلا أن أنفذ إليه أخاه عمر، وبمعاونة القبائل تمكن من تأديبه وكُوفئ عمر بضم ولاية عيسى أخيه إليه[6].

---

[1] ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 51 .

[2] ابن الأبار ، الحلة ...، ج 1، 131، أنظر أيضا، ابن أبي زرع ، مصدر سابق ، ص 51 .

[3] سعد زغلول عبد الحميد،مرجع سابق، ص 444 .

[4] ابن أبي زرع ، مصدر سابق، ص 51 ، أنظر التقسيم بالتفصيل، عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006 م، ص 364 – 365 ، أنظر أيضا، محمود إسماعيل، الأدارسة ... ، ص 80 .

[5] ابن أبي زرع ، مصدر سابق، ص 51 .

[6] نفسه ، ص 53، أنظر أيضا ، ابن الأبار، الحلة ...، ج1، ص 132 .

3 ـ عهد يحيى بن إدريس :

تولى الإمامة بعد وفاة محمد أخاه يحيى، واعتمد في تسيير شؤون الدولة على العرب الذين وفدوا من إفريقية والأندلس[1]، لكن الأمور ازدادت سوء حيث بدأت حركة الانفصال فاختلف الإخوة " وتقاطعوا فيما بينهم وتفرقوا أوزاعا[2] ".

ب ـ مرحلة التداعي والإنهيار :

ويظهر في هذا المرحلة التمزق جليا للدولة الادريسية، بعد ان استقل الإخوة عن العاصمة فاس، حيث استقل القاسم بن ادريس بأصيلا والبصرة، لكنه فشل بسبب تدخل أُمويي الأندلس[3]، أما داوود بن ادريس فقد تمكن من دخول فاس بمساعدة بعض قبائل البربر لأن أمرائها كانوا منشغلين بالعبادة والنسك[4].

لم تقتصر التجزئة بين أبناء إدريس وحسب بل تعداها إلى الأبناء الآخرين، وهذا ما نستشفه من الصراع الذي دار بين عبد الله بن ادريس وأبناء عمومته من بني عيسى وبني حمزة وبني يحيى للسيطرة على الطرق التجارية، مما اضعف الأدارسة عموما حيث دارت بينهم حروب ضارية، ماجعل القاسم بن ادريس يوزع قوته على بعض الاقاليم إذ أقطع ابنه ابراهيم مدينة البصرة وإبنه أحمد "كرت" وابنه محمد "ماسيتة" وهذا الأخير أورثها لإبنه الحسن المعروف بالحجام، كما دخل هذا الأخير ـ الحجام ـ في صراع طاحن مع أبناء عمر، للسيطرة على العاصمة فاس حيث تمكن من دخولها[5]، وقد استمر هذا الصراع الى نهاية عمر الدولة .

---

[1] ابن ابي زرع ، المصدر السابق، ص 53 .

[2] أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان القرطبي، المقتبس ، ج 5، تحقيق، ب. شالميتا، ف. كورينطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979 م، ص 262 .

[3] محمود إسماعيل ، الأدارسة ...، ص 88 .

[4] ابن عذاري ، البيان ...، ج 1 ، ص 211 ، أنظر أيضا، ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 77 .

[5] البكري ، المصدر السابق ، ص ص 125 ، 130 .

بل إن هذا الصراع ساهم في ضعف هيبة الأمراء الأدارسة كما حدث مع يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس، الذي احتكر السلطة دونه رجل من عرب فاس وهو عبد الرحمان بن أبي سهل[1]، كما نجح عربي آخر من فاس في ثورته ضد يحيى بن القاسم الإدريسي حيث تمكن من قتله سنة 292 هـ / 905 م[2]، واستمر هذا الوضع إلى نهاية الدولة سنة 375 هـ / 986 م[3] .

رابعاً ـ نظم الحكم والإدارة في دولة الأدارسة :

أ ـ الإمامة :

إعتبر الأدارسة أنهم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقبوا بالأئمة، وكان الإمام منهم يؤم الناس في الصلوات والجُمع، وصلاة العيدين ويجلس إلى الناس بعد الصلاة يُعالج مشاكلهم، مما كان له أثره في تعلق المغاربة بآل البيت[4].

ب ـ الوزارة:

لم تكن معالم الوزارة واضحة في دولة الأدارسة في أول أيامها، فقد كانوا أقرب إلى الهيئة الإستشارية، ونذكر على سبيل المثال المولى راشد الذي كان مُخلصا لسيده إدريس، وإلى جانبه كان أبو خالد العبري البربري، أما في عهد الإمام إدريس الثاني فقد اتخذ إلى جانبه الوزراء، حيث أسند هذا المنصب إلى عُمير بن مُصعب وبهلول بن عبد الواحد المطغري[5]

ج ـ الكتابة والقضاء :

كانت لغة الإدارة الرسمية هي اللغة العربية بدليل النقوش التي وجدت على السكة والخطب والرسائل التي نقلها المؤرخون،[6] وقد اشتهر من كُتاب الدولة الإدريسية أبو الحسن عبد الله بن مالك

---

[1] ابن ابي زرع، مصدر سابق، ص 78 .

[2] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 80 .

[3] للمزيد عن أمراء الأدارسة أنظر الملحق رقم (...) الخاص بجدول حكام الدولة

[4] سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي، (172 – 223 هـ / 788 – 853 م)،ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1408 هـ / 1987 م، ص 117 .

[5] نفسه، ص 120 .

[6] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، من عصر ماقبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، البيضاء، 1420 هـ / 2000م، ص 113 .

الخزرجي الأنصاري، تمتع بقدر كبير من الثقافة وكان من العرب الوافدين على الإمام إدريس، وقد كلفه بكتابة عقد شراء الموضع الذي بنيت عليه فاس[1]، أما القضاء فقد كان الإمام نفسه يجلس إلى القضاء، ومع تكاثر الوفود من الأندلس ومن مختلف الجهات إختار إدريس منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي حيث تولى منصب القضاءسنة 189 هـ/ 804 م.[2]

[1] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص 32، أنظر أيضا، ج. ف. ب. هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوُسطى، ترجمة، أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980 م، ص 39.

[2] سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص 125 .